المصدر: السفير
التاريخ : ٢ اغسطس ٢٠٠٥

ملف السفارات لم يفتح وملف الحدود طوي فوراً ومصير الاتفاقات بيد لبنان

دمشق أبلغت السنيورة مخاوفها من التدخل الأجنبي

إبراهيم الأمين

هل فتحت زيارة الرئيس فؤاد السنيورة الباب أمام صياغة جديدة للعلاقة بين لبنان وسوريا؟
منذ ما قبل وصول السنيورة الى دمشق، كانت الدوائر الجمركية والامنية على الحدود قد تلقت تعليمات جديدة تقول لها بفتح الحدود كما كانت عليه في وقت سابق على الاجراءات، وأن يصار الى غياب المشهد الثقيل خلال يومين او ثلاثة ايام على ابعد تقدير. علما بأن اللجان المشتركة بين البلدين والمتخصصة بالحدود والشؤون الجمركية سوف تلتقي قريبا لوضع برنامج عمل جديد، يأخذ بعين الاعتبار ما هو مستجد، سواء بما خص المناخ بين الطرفين او الشق الامني الذي يشكل هاجسا جديدا لدى المسؤولين السوريين ولو انه ليس بالحجم الذي قدم يوم تبرير الاجراءات التي ظلت من دون منطق قوي وأخذت الطابع الثأري غير المستحب بين طرفين يسعى احدهما على الاقل لحفظ اعلى قدر من المودة والتنسيق مع الطرف الآخر.

لكن المشكلة تكمن في مكان آخر، حيث ان الفريق السياسي اللبناني الذي يتحدث عن الندية وعن العلاقات المستقلة خارج إطار أي نفوذ، هو نفسه الفريق الذي يلوّح باللجوء إلى الأمم المتحدة (يقصد الولايات المتحدة) لكي تمارس الضغط الكافي على سوريا لإجبارها على سلوك آخر تجاه لبنان. وهذا الفريق الذي يطالب بسيادة كاملة لكل من لبنان وسوريا على أراضيهما وعلى القرار في بلديهما، يعتبر انه لا يحق لسوريا اتخاذ أي إجراء من طرف واحد على الحدود، وبالتالي فإن الاجراء السوري يمثل بالنسبة لأعداء سوريا في لبنان (باعتبار انهم تجاوزوا مرحلة الخصومة معها)، عدوانا يجب مواجهته والرد عليه، ولأن حال السياديين الجدد فقيرة، فهم سيطلبون العون من دول الوصاية الجديدة، أي من الولايات المتحدة وفرنسا للقيام بالامر. وهو ما ترافق مع لهجة فرنسية اكثر استفزازا تجاه سوريا وتجاه فريق كبير في لبنان تعيد إلى الاذهان <<النظرة الاستعمارية>> لهذه الدولة التي تتصرف قيادتها السياسية الآن وكأنها نادمة على موقفها من الحرب على العراق او انها نادمة لأنها استجابت لجانب من ضغط الرأي العام عندها المناصر للقضية الفلسطينية، فكان استقبال اريل شارون مرافقا للكلام عن نزع سلاح المقاومة في لبنان وعن عدم ممانعة فرنسية في تغيير النظام في سوريا. وهو ما يجعل فرنسا تشبه الولايات المتحدة وبريطانيا، ما يعني انها تدفع بنفسها إلى مكان سوف يجعل منها حكما هدفا لأعمال انتقامية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

توصف اليوم ب<<الاعمال الارهابية>>.

ومع ذلك، فإن لسوريا استراتيجية واضحة في لبنان على ما يقول اكثر من مسؤول فيها، وتفيد بأن التمسك بوحدة لبنان يعني نوعا من الامان الذي تحتاج إليه سوريا، وانه كلما تعرض لبنان لخطر التفكك كانت الانعكاسات على سوريا سلبية، كما هي الحال في وضعية لبنان خاضع لوصاية دول غربية ولا سيما الدول التي تقود هجوما معلنا وكاملا ضد سوريا. وهذه الاستراتيجية تتطلب ايضا بقاء لبنان بهوية عربية ويعيش في فضاء عربي وليس خلاف ذلك، خصوصا ان في لبنان تيارات سياسية تدعو الى التغريب لا الى التعريب، بالمعنى السياسي والثقافي وحتى الحضاري، اعتبارا منها ان في ذلك ارتقاءً للبنان نحو مصاف الدول الغربية المتقدمة. وأخيرا فإن سوريا معنية، دون أي مداورة، بأن لا يكون لبنان ممرا او مقرا لتحركات سياسية او امنية او خلاف ذلك من الاعمال التي تستهدف النظام السياسي او النظام العام او الامن في سوريا.

وبالنسبة لدمشق فإن الامر لا يعالج فقط بجمل او بيانات او خطب او مواقف، بل بخطوات واضحة على الارض. وهو ما جعل دمشق ترحب بالبيان الوزاري الصادر عن الحكومة، كما رحبت بترؤس الرئيس السنيورة لهذه الحكومة، وهي تجد فيه <<من يعيد بناء الجسور القوية بين البلدين لتحقيق المصالح المشتركة>>، بالاضافة الى ان في دمشق من يعتقد <<ان السنيورة يمثل اتجاها سياسيا لا يقود لبنان ولا يدفع به نحو التهلكة السياسية او غير السياسية>>. ومن هذا المنطق رحبت دمشق على طريقتها بالسنيورة، واستقبلته بحفاوة وأسمعته كلاما مباشرا وواضحا حيال مسائل كثيرة. وأبلغته رأيها الايجابي بالحكومة وبالبيان الوزاري لكنها لفتت انتباهه الى انها غير مرتاحة إلى التدخل الاجنبي المكثف في الشؤون اللبنانية وإلى انها لا تثق كثيرا بالتكتل السياسي الذي يقوم الآن على الاغلبية النيابية في لبنان ولا تجد فيه ممرا آمنا للعلاقات بين البلدين.

وبحسب المتابعين فإن البحث بين السنيورة والقيادة السورية لم يتطرق الى موضوع صياغة مختلفة للعلاقات المباشرة بين البلدين، وان موضوع انشاء سفارتين في البلدين لم يجر تناوله مطلقا. وفي ما خص الاتفاقات الثنائية، ابلغت القيادة السورية رئيس الحكومة ان دمشق مستعدة للتعامل مع الملف كما تفترض القواعد، ان لناحية تطوير الاتفاقات او لناحية اعادة النظر في أي منها او فيها جميعا. وسمع السنيورة ان دمشق تنتظر موقفا او تصورا لبنانيا حيال مستقبل هذه الاتفاقات. ولفتت المصادر المتابعة الى ان المطلب الرئيسي الذي أثاره الرئيس السنيورة كان يتصل بأزمة الحدود وسير الشاحنات الناقلة للبضائع اللبنانية عبر سوريا الى الدول العربية، وقد تمت تلبية المطلب فورا واتفق على رفع مستوى التنسيق بين اللجان المتخصصة.

من جانب الاهتمامات السورية بدا ان الامر يتعلق بأمور اخرى اضافية لا تتصل فقط بالآليات المؤسساتية للعلاقات الثنائية، بل بالمناخ الاجمالي الذي تجري في إطاره الأمور الآن. وعرضت القيادة السورية ملاحظات سياسية حيال عناوين كثيرة تخص موقع لبنان في الصراع العربي الاسرائيلي والانزعاج السوري من الاجواء الاعلامية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

والسياسية التي تركز في حملاتها على سوريا اضافة الى المسائل الخاصة بالعلاقات الثنائية في مختلف المجالات، واستمعت الى تأكيد من جانب السنيورة على مسائل تخص موقف لبنان من أي عملية للسلام في المنطقة ومن حق لبنان في المقاومة حتى استعادة كل الاراضي المحتلة، والمسؤولية اللبنانية ازاء عدم حصول أي عمل عدوان سياسي او امني او اقتصادي ضد سوريا من قبل لبنانيين او من خلال الاراضي اللبنانية.

وإذ بدا ان دمشق مهتمة جدا بعلاقة جدية وقوية مع الرئيس السنيورة فهي تعاملت معه على أساس انه رئيس لحكومة لبنان لا باعتباره ممثلا لجهة سياسية معينة، علما بأن الاخير حرص على القول ان زيارته والمواقف التي يدلي بها لا تعكس موقفه الشخصي بل تعكس موقف التكتل السياسي الذي رشحه لتولي رئاسة الحكومة وهو التكتل الذي يشكل الائتلاف القائم والممثل داخل الحكومة نفسها. وهو أعرب عن اعتقاده بأن منح هذه الحكومة الفرصة لكي تثبت فعلا ما اعلنته قولا من شأنه تعزيز العلاقات بين البلدين.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية